

## زهر الشقائق في تراثنا الشعرى

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب

ورد في المعاجم اللغوية أن الشقائق أو شقائق النعمان والمفرد نبات شقيق <sup>نبات</sup> أحمر الزهر <sup>بفتح</sup> ينقطع بنقط سود ، وله أنواع وضروب ، بعضها ينزوع ومضها ينبت في أواخر الشتاء وفي الربيع . ويزخر تراثنا الشعرى بالمقطوعات والأبيات التي تصور هذا النبات وزهره ، بحيث يمكن القول إن شعراء الطبيعة العرب كانوا يديرون النظر إليه ويستلهمونه أجمل المعاني وأرق الصور ، فهو عنوان كتاب الطبيعة في الربيع ، وآية انبثاق الحياة في الأرض ، ودليل على عظمة الخالق . ولونه الأرجواني هو الذي شدَّ أبصار الشعراء وقرائحهم إليه كما بهرهم تكوينه ومظهره ، فكثرت تشبيهاتهم له كما شبهوا به ما له صلة بلونه وشكله .

وإذا تصفحنا ديوان العرب عبر العصور وجدنا هذين البيتين للشاعر المصري

للشَّيْرِ الرَّفَا في وصف الشقيق :

وشقيق جاده الغيث رواحا وابتكارا  
مثلما أترع ساقس الراح أقداحا صفارا

ويختلف هذا الشاعر عن غيره في لون الشقائق في البيت الآتي من

هذا الزهر  
قصيدة غزلية إذ يركب/أذهبيا لا أحمر :



طوالع من حمر القباب شمسها      وما طلعت منهن إلا لتغربها  
سفرن فلاح الأقحوان مفضضا      على القرب منا والشقائق مذهبها

وهذه المقطوعة للشاعر الأرجاني :

وللشقائق زى وسطها عجب      إذا تمايلن والأرواح تأتفك  
حمر الثياب تطير الريح شائلة      أذيالها وهي بالأنوار تفتك  
إذا الصبا نهت أحداقها سحرا      حسبت مسكا على الآفاق ينفرك  
أتم طمها وحليا من ترائبها      إذا اعتنقن وخيل الليل تعمرك

وتهد وبراعة الصنعة في تشبيه الشقائق بغادة في ثوب أحمر تطير

الريح أذيالها ، وسرى نسيم الصبا ليلا على أحداقها فيفوح عطرها كأنه  
المسك ، بجامع السواد بين الشقائق المنقطة بهذا اللون وبين المسك . هذا  
ولم نجد شاعرا قبل الأرجاني أو بعده يتحدث عن غير هذه الزهرة ، فهم جميعا  
يصفون منظرها لا رائحتها .

وللشاعر سبط بن التعاويذى أرجوزة في وصف روضة جمع فيها باقة من

الأزهار ومنها الشقيق :

وروضة مونة الأزهار      من الرياض الأنف الأبرار  
تضحك عن ماسم النوار      من نرجس غصن وجنار  
باتبها جود من الأمطار      فأصبحت موشية الأقطار

في حلل الشقيق والمهار



فهو يشبه الروضة التي جادها المطر فأينعت بمروس ترفل في شيا ب  
 الشقيق لرقته وجمال ألوانه • وصف الشاعر ابن عشرين أيضا روضة مزهرة تمتد عا  
 صورة أخرى للشقيق أوحى إليه بها اسمه ، إذ يقول إنه شق ملبسه من شدة  
 حزنه على ما أصاب الأفق في وقت الأصيل من الاصفرار الذي يعتري العليل ، فكان  
 الشقيق قلب انفطر حزنا فانكشفت سوداؤه ، مثلما بدت النقط السوداء لهذا  
 الزهر من خلال أوراقه الحمر :

فأبان صنعة علة المعلن	في روضة عنى الريح بهما
حزنا على دهاجة الأصيل	شق الشقيق بها ملبسه
سوداؤه فدت من الخل	فكانه قلب تصدع عن

ولهذا الشاعر مقطوعة طريفة في وصف رمانة ، إذ يشبهها بالشقيق

لاحمرار لونها مثله :

في حزن غصن وريق	وحلوة الريق باتت
ع ذات مرأى أنيق	ملمومة القد بيضا
ن قاني كالشقيق	تشق بين أحمر اللو
ق	كأنها تملأ الكفصرة من عقيق

وتبين من اختيار ابن التعاويذي للألفاظ استعماله أسلوب الجناس

بين كلمتي شقيق وتشق في المقطوعتين ، وقد سبقه في هذا التجنيس السري الرفاء

في قوله :



وتشقت قُصَّ الشقيِّقِ فِخْلَتَهُ في الرِّوضِ كَأَسَاتِ مِلْثَنِ مُدَامَا

وللشاعر ابن منجك أبيات في وصف روضة مزهرة بالشقيق والريحان :

سقى الله يوم القصر إذ كان بيننا	حديث كَهْرَفَضِّ الْجُمَانِ الْمُنْضَدِّ
بروض يجول الماء تحت ظلالة	كَأَيِّمٍ مَرُوعٍ أَوْ حَسَامٍ مَجْرَدِ
يلوح به قاني الشقيق وقد حكس	لِوَاظِحِ نَشْوَانٍ كُحِلْنَ بِأَثْمَدِ

#### الشقائق في شعر ابن الرومي

يعد الشعراء بشقائق النعمان كما سبق البيان من الكرام أو عابري السبيل ، فلا تنال منهم إلا بيتاً أو أبياتاً قليلة من الشعر وهم يصفون الرياض ، أو يشبهون بها منظراً خَلَبَ لُبُّهُم بِلَوْنِهِ الْأَحْمَرُ ، أما ابن الرومي بها وهب من قدرته الفذة في تصوير كل ما تقع عليه عينه من إنسان أو حيوان أو طير أو نبات ، فإنه يستغرق في تأمل زهرة الشقيق ، وخصها بمقطوعة من قصيدة في وصف الربيع مثلما خص زهرة النرجس بمثلها ، ويبدع أيما إبداع في وصفها ، فلا نجد لهذا الإبداع مثيلاً لدى غيره من الشعراء :

أشقائق النعمان بين رُكُوسِي	نعمانَ أنتِ محاسنِ النَّعَمِ
غدت الشقائق وهي واصفة	آلاءَ ذي الجبروت والعِظَمِ
تَرَفُ لَأَبْصَارٍ كُحِلْنَ بِهِيَ	لِيُرِيَنَّ كَيْفَ عَجَائِبِ الْحِكَمِ



فهو يستهل هذه المقطوعة بثلاثة أبيات متتابعة يستقص فيها معنى واحدا وهو دلالة شقائق النعمان بجمالها على قدرة الخالق البارئ العظيم الذى جعلها آية لهدى صنعه ، ونعمة من النعم ، وجعل العيون تتكحل بمنظرها • ثم يستطرد قائلا :

نُفَعَلُ تَزِيدُكَ فِي النَّهَارِ سَنِي	وَتَضَى فِي مَحْلُولِكَ الظَّلَامِ
أَعْجِبُ بِهَا شِعْرًا عَلَى فَحَمِ	لَمْ تَشْتَعَلْ فِي ذَلِكَ الْفَحَامِ
وَكأنَا لَمَعَ السَّوَادِ إِلَى	مَا أَحْمَرَّ مِنْهَا فِي ضَحَى الرَّهَمِ
حَدِّقِ الْعَوَاشِقُ وَسَطَّتْ مَقْلًا	نَهَلَتْ وَعَلَّتْ مِنْ دَمِ سَمِ
هَاتِيكَ أَوْ خِيْلَانِ غَالِيَةِ	أَضْحَتْ بِهَا الْوَجَنَاتُ فِي ذَمِّ
يَا لِلشَّقَائِقِ إِنَّهَا قَسَمِ	تُزْهِى بِهَا الْأَبْصَارُ فِي الْقَسَمِ
مَا كَانَ يُهْدِي مِثْلَهَا تَحَفًّا	إِلَّا تَطُولُ بَارِي النَّسَمِ

إن ابن الرومي يتفوق على غيره في هذه اللوحة التشكيلية ، ولولا أنه يمدح لوحات كثيرة أخرى مثلها لقلنا إنه يتفوق على نفسه • ولو أن فنانا مثل قان جوح صاحب لوحة ( زهرة الخشخاش ) المشهورة رسم بريشته صورة لشقائق النعمان ما استوفى فيها من عناصر الإبداع أكثر مما صنع الشاعر بصياغته تلك الصورة البصرية التى تجسد للقارى زهرة الشقائق • وجد يد ابن الرومي كشأنه دائما أنه أدخل العنصر الإنساني فى لوحته ، فشيء هذه الزهرة ذات اللون الأحمر الجَمِّع بنقطة سوداء ، والعيون السود اللامعة للنساء الجميلات ، كما شبهها بالخال - وهو شامة سوداء - فى الوجه - وبالمسك والعنبر لما يجمعها بهذه الثلاث من سواد اللون • وأضاف أنها عقدت عهدا مع الوجنات ذات اللون



الأحمر • وختم المقطوعة بمثل ما بدأها وهو أن الشقائق من محاسن النعم  
 التي أفاها الله علينا لنستمتع بها • وذلك قدم إلينا ابن الرومي صورة تعكس  
 حياة هذا الزهر وصلتنا به لا مجرد زخرف من زخارف القول • ويرجع ذلك إلى  
 ما وهب من إحساس مشبوب بالحياة والأحيا يطلق عليه العقاد مصطلح الطبيعة  
 الفنية • ومعناه أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئاً واحداً لا ينفصل فيه الإنسان  
 الحي من الإنسان الناظم •

\*